

ألا بذكر الله تطمئن القلوب

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي زين بذكره ألسن الذاكرين وأظهر من جميل أسمائه وصفاته وأفعاله ما سرَّ به قلوب العارفين، فأثني عليه بما المفردون الموحدون من الأولين والآخرين، أحمده تعالى وأشكره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد .

عباد الله اتقوا الله وأكثروا من ذكره فإن ذكره سبحانه قوت قلوب الذاكرين وهو قرة عيون الموحدين وهو عدتهم الكبرى وسلاحهم الذي لا يبلى وهو دواء أسقامهم الذي متى تركوه أصيبت منهم المقاتل فانتكسوا على أعقابهم خاسرين.

إذا مرضنا تداوينا بذكركم ونترك الذكر أحياناً فنتكس

فبالذكر يستدفع الذاكرون الآفات ويستكشفون الكربات وتهون عليهم المصيبات فإليه الملجأ إذا ادلهمت الخطوب وإليه المفرج عند توالي الكوارث والكروب به تنقشع الظلمات والأكدار وتحل الأفراح والمسرات.

وقد أمر الله تعالى به المؤمنين فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾^(١) وقال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾^(٢). وقد أثني الله سبحانه وتعالى في كتابه على الذاكرين فقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ إلى أن قال: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٣). وأما الأخبار عن النبي ﷺ

(١) الأحزاب: ٤١.

(٢) البقرة: ١٥٢.

(٣) الأحزاب: ٣٥.

فقد دلت الأدلة على أن أفضل ما شغل العبد به نفسه في الجملة ذكر الله تعالى فمن ذلك ما رواه أحمد وغيره عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم)) قالوا: بلى، قال: ((ذكر الله تعالى))^(١). ومن ذلك أيضاً ما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة فمر على جبل يقال له جُمدان فقال ﷺ: ((هذا جمدان سبق المفردون)) قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: ((الذاكرون الله كثيراً والذاكرات))^(٢). ومما يظهر فضل الذكر وعلو مرتبته ما أخرجه الترمذي عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ فأخبرني بشيء أتشبه به قال: ((لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله))^(٣). ومما يدل على ذلك أن الله تعالى أمر المؤمنين بأن يذكروه قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم فقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾^(٤). وهكذا كان النبي ﷺ فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه))^(٥).

أيها المؤمنون اعلموا أن أعلى مراتب الذكر الذي أمر الله به هو ما تواطأ فيه القلب واللسان واعلموا أن هذا الفضل العظيم والأجر الكثير ليس معلقاً على ذكر الشفة واللسان فحسب بل لا يثبت هذا الأجر الموعود إلا على ذكر يتواطأ فيه القلب واللسان فذكر الله إن لم يخفق به القلب وإن لم تعش به النفس وإن لم يكن مصحوباً بالتضرع والتذلل والمحبة لله تعالى فلن يكون سبباً لتحصيل هذه المزايا والفضائل.

وقد يسأل المرء ما سر تفضيل الذكر على سائر أنواع وأعمال البر مع أنه خفيف على اللسان ولا يحصل به تعب على الأبدان؟

(١) أخرجه أحمد من حديث أبي الدرداء برقم ٢١٩٩٥.

(٢) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار برقم ٢٦٧٦.

(٣) أخرجه الترمذي في الدعوات برقم ٣٣٧٥.

(٤) النساء: ١٠٣.

(٥) أخرجه مسلم في الحيض برقم ٣٧٣.

فالجواب أن سر هذا التفضيل هو أن الذكر يورث يقظة القلب وحياته وصلاحه ولذلك قال النبي ﷺ: ((مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت))^(١) فالذكر حياة القلوب وصلاحها فالذكر للقلب كالماء للزرع بل كالماء للسّمك لا حياة له إلا به. فإذا حييت القلوب وصَلّحت صلحت الجوارح واستقامت قال النبي ﷺ: ((ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب))^(٢) متفق عليه.

فعليكم عباد الله بالإكثار من ذكره سبحانه وعمارة الأوقات والأزمان بالأذكار والأوراد المطلقة والمقيدة كقول: لا إله إلا الله فإنها من خير الأقوال وأحبها إلى الله أو قول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فإنها خير مما طلعت عليه الشمس وغير ذلك من الأقوال التي تنمى بها الحسنات وترفع بها الدرجات وتوضع السيئات، فإن قصرت همتك وضعفت قوتك عن تلك المنازل الكبار فلا أقل من أن تحافظ على الأذكار المؤقتة والمقيدة قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((وأقل ذلك أي ما ينبغي على العبد المحافظة عليه من الأذكار أن يلازم العبد الأذكار المأثورة عن معلم الخير وإمام المتقين ﷺ كالأذكار المؤقتة في أول النهار وآخره وعند أخذ المضجع وعند الاستيقاظ من المنام وأدبار الصلوات. والأذكار المقيدة مثل ما يقال عند الأكل والشرب واللباس والجماع ودخول المنزل والمسجد والخلاء والخروج من ذلك وعند المطر والرعد وغير ذلك)) وقد صنفت في ذلك بعض الكتيبات فما عليك أيها المبارك إلا أن تقتني واحداً من تلك المصنفات وتواظب على المسابقة في الخيرات.

ومما يشحذ همتك ويلهب حماسك ويجذبك إلى ذكر مولاك أن تعلم أن للذكر فوائد كثيرة وعواقب حميدة لمن حافظ عليه وأكثر منه وإليك بعض هذه الفوائد.

فمن فوائد الذكر الكبار أنه يورث محبة الله سبحانه وتعالى فالذكر باب المحبة وشارعها الأعظم وصراتها الأقوم فكلما ازداد العبد لله ذكراً ازداد له حباً فمن أراد أن يفوز وينال محبة الله تعالى فليلهج بذكره. ومن فوائد ذكر الله تعالى أنه يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره ويزيل الهم والغم والحزن

(١) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه برقم ٧٧٩.

(٢) أخرجه البخاري في الإيمان من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه برقم ٥٢ وأخرجه مسلم في المساقاة برقم ١٥٩٩.

ويجب للقلب الفرحة والسرور والبسط ففي الترمذي وأبي داود والنسائي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: ((من قال - يعني إذا خرج من بيته - باسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له: كفيت وهديت ووقيت وتنحى عنه الشيطان فيقول للشيطان آخر: كيف لك برجل قد هدي وكفي ووقيت))^(١).

وقد ثبت أن الشيطان يهرب من الأذان ففي البخاري ومسلم عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: ((إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين فإذا قضي النداء أقبل حتى إذا ثوب بالصلاة أدبر حتى إذا قضي التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه يقول: اذكر كذا اذكر كذا لما لم يكن يذكر حتى يظل الرجل لا يدرى كم صلى))^(٢).

ومنها: أنه يكسو الذائر المهابة والحلاوة والنضرة ويمدده بالقوة في قلبه وبدنه حتى إنه ليفعل مع الذكر ما لا يفعله بدونه ولذلك علم النبي ﷺ ابنته فاطمة وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما أن يسبحا كل ليلة إذا أخذوا مضاجعهما ثلاثاً وثلاثين ويمجدان ثلاثاً وثلاثين ويكبران أربعاً وثلاثين لما سأله أن يعطيها خادماً وقال: ((إنه خير لكما من خادم))^(٣).

ومنها أن الذكر يورث ذكر الله تعالى للعباد قال الله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكَرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ﴾^(٤). وفي الحديث القدسي قال تعالى: ((إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم))^(٥).

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي أمر بذكره ورتب على ذلك عظيم أجره والصلاة والسلام على أعظم الناس ذكراً لربه نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه.

(١) أخرجه الترمذي في الدعوات برقم ٣٤٢٦ وأخرجه أبو داود في الأدب برقم ٥٠٩٥.

(٢) أخرجه البخاري في الأذان برقم ٦٠٨ وأخرجه مسلم في الصلاة برقم ٣٨٩.

(٣) أخرجه البخاري في المناقب برقم ٣٧٠٥ وأخرجه مسلم في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار برقم ٢٧٢٧.

(٤) البقرة: ١٥٢.

(٥) أخرجه البخاري في التوحيد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه برقم ٧٤٠٥ وأخرجه مسلم في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار برقم ٢٦٧٥.

أما بعد .

فاعلموا أيها المؤمنون أن من فوائد الذكر أن الله عز وجل يباهي بالذاكرين ملائكته كما في حديث أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال لجماعة اجتمعوا يذكرون الله: ((أتاني جبريل فأخبرني أن الله يباهي بكم ملائكته))^(١).

ومن فوائد الذكر أنه سبب لتزول الرحمة والسكينة كما قال ﷺ: ((وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده))^(٢).

ومن فوائده أنه يورث المراقبة حتى يُدخل العبد في باب الإحسان فيعبد الله كأنه يراه ومن فوائد الذكر أنه يورث الإنابة وهي الرجوع إلى الله تعالى فإنه متى أكثر العبد الرجوع إلى الله تعالى بذكره أو رثه ذلك رجوعه إلى الله تعالى بقلبه في كل الأحوال فيصير الله تعالى مفرغه وملجأه وملاذه ومعاده وقبله قلبه ومهربه عند النوازل والبلايا.

ومن فوائده أنه يزيل الوحشة بين العبد وبين ربه تبارك وتعالى فإن الغافل بينه وبين الله حجاب كثيف ووحشة لا تزول إلا بالذكر.

ومن فوائده أنه سبب اشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والفحش والباطل فإن العبد لا بد له من أن يتكلم فإن لم يتكلم بذكر الله تعالى تكلم بهذه المحرمات ولا سبيل إلى السلامة منها ألبتة إلا بذكر الله تعالى والمشاهدة والتجربة شاهدان بذلك فمن عود لسانه ذكر الله صان لسانه عن الباطل واللغو ومن ييس لسانه عن ذكر الله تعالى ترطب بكل باطل ولغو وفحش ولا حول ولا قوة إلا بالله ونفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل ولا بد.

ومن فوائد الذكر أنه من أكبر العون على طاعته سبحانه فإنه يجب الطاعة إلى العبد ويسهلها عليه، يجعلها قرة عينه فلا يجد في الطاعة من الكلفة والمشقة والعناء ما يجده الغافل.

(١) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار برقم ٢٧٠١.

(٢) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار من حديث أبي هريرة رضي الله عنه برقم ٢٦٩٩.

ومن فوائده أنه يسهل المصاعب وييسر العسير ويخفف المشاق فما ذكر الله على صعب إلا هان ولا على عسير إلا تيسر ولا على شاق إلا خف ولا على شدة إلا زالت ولا كربة إلا انفرجت وذلك لأن الذكر يذهب عن القلب المخاوف كلها وله تأثير عجيب في حصول الأمن فليس للخائف الذي قد اشتد خوفه أنفع من ذكر الله عز وجل إذ بحسب ذكره يجد الأمن ويزول الخوف قال الله تعالى:

﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(١).

ومن أعظم فوائد الذكر أنه ينبه القلب من نومه ويوقظه من سنته والقلب إذا كان نائماً فاتته الأرباح والمتاجر وكان الغالب عليه الخسران فإذا استيقظ وعلم ما فاتته في نومته شد المترز وأحيا بقية عمره واستدرك ما فاتته ولا تحصل يقظته إلا بذكر.

أيها المؤمنون هذه بعض فوائد الذكر الذي هو من أسهل الأعمال وأيسرها وأقلها كلفة فهلا عمرنا به الأوقات وشغلنا به المشاهد والخلوات عسى أن ندرك بعض هذه المناقب والخيرات فإنه والله وباللهم من أعظم الحرمان ومن أشد الخذلان أن يمضي الواحد منا الساعات إما صامتاً ساكناً أو متكلماً فيما لا يعود عليه بنفع لا في الدنيا ولا في يوم المعاد بل إنه قد أصبح من غرائب المشاهدات عند أكثر الناس أن يروا من يحرك شفتيه بالذكر في الجوامع والخلوات فما أن يروا من ذلك شيئاً إلا رمقه الناس بأبصارهم وتابعوه بأنظارهم وقد يسيء به بعضهم الظن فينسبه إلى قلة العقل أو غير ذلك من الأمراض فإننا لله وإنا إليه راجعون.

(١) الرعد: ٢٨.